عينها الملوك الاكديون هناك . واخيرا فأن اكتشاف الراس البرونزى المعروف في نينوى والذى ارجع تاريخه الى العصر الاكدى ، على اساس اسلوب صناعتـه ، ربما كان يعود الى احد الملوك الاكديين . ويرجح ان يكون سرجون او حفيـده الشهير « نرام – سين » .

اما فتوحات سرجون الاخرى فقد كانت في المناطق الجبلية والشرقية والشمالية الشرقية من بلاد وادى الرافدين . وقد وصلتنا تفاصيل جيدة عنها في كتابـات الملك سرجون نفسه وفي نصوص متأخرة ايضا . اذ تذكر كتاباته انه لاقـى جيوش اربعة حكام بقيادة ملك مدينة «اوان» الواقعه في جنوبي غرب ايران وانه استطاع دحرهم وقتل قائدهم. كما انه استولى على بلاد عيلام وعين عليها حاكما (انسي) تابعا له . وكان من نتائج سيطرته على بلاد عيلام والاقاليم الاخرى من ايران ان تدفقت ثروات كبيرة على بلاد اكد ، وان هذا الامتداد الواسـع للامبراطورية الاكدية وفي اتجاهات متعددة كان قد عبر عنه سرجون الاكدى نفسه في احد نصوصه عندما قال « والان فاى كان الملك الذى يدعي انه نظير لي فليصل الى حيث وصلت انا » .

خلفاء سرجـون :

خلف سرجون ابنه ريموش الذى حكم تسع سنوات وجاء من بعده اخوه الآخر المسمي مانشتوسو الذى حكم ثلاث عشرة سنه . ويبدو من قائمة الملوك ان الاخير كان الابن الاكبر لسرجون. وعلى اية حال فقد بدأ الاخوان حياتهما في ممارسة شؤون الحكم في زمن ابيهما سرجون حيث شاركا في قمع الثورات التي قامت في البلاد .

ويعتبر « فرام – سين » (٢٢٩١ – ٢٢٥٥ ق . م) بحق ثاني اشهر ملوك هذه السلالة العظيمه وواحداً من الشخصيات البارزة في تاريخ العراق القديـم . وقد بقي حكمه الطويل (سبع وثلاثون سنه) مزدهرا حتى نهايته .

Scanned by CamScanner

وصلتنا حوادث حكم الملك نرام ـ سين مدونة على نصوص مسمارية من عصره واخرى دونت في عصور لاحقة اضافة الى المنحوتات الحجرية التي تصور انتصاراته على اعدائه .

وتتميز الوثائق المسمارية من عصر هذا الملك بامرين جديدين . الاول انه استعمل بالاضافة الى لقب « ملك اكد » لقبين اخرين هما « ملك الجهات الاربع » (شار كبرات اربعيم) وملك العالم (شاركشتي) وهما يشيران من دون شك الى سعة الامبراطورية وتوحيدها في عصره . والامر الجديد الثاني هو استخدام علامه الالوهية (النجمة) في كتابة اسمه على غرار اسماء الالهه . كما ان بعضا من اتباعه كتبوا على اختامهم الاسطوانية عبارات تعزو اليه الالوهية مثل « اله اكد » وبطبيعة الحال فان مثل هذا الاتجاه نحو تاليه الملك يخالف كليا الفكرة السومرية القديمة التي كان يقوم عليها الحكم والتي تعتبر الحاكم او الملك مجرد ممثل للالهه في حكم البشر كما انه يخالف الاتجاه الحضارى العام في بلاد وادى الرافدين والجدير بالملاحظة ، ان هذه البدعة ، اى اضفاء صفة الالوهية على الملك استمرت بعد نرام ـ سين ولكن على نطاق ضيق جدا وخاصة في زمن سلالة اور الثالثة وعصر ايسن لارسا ولكنها لم تظهر بين الملوك الاشورين. ولعل ارجح تفسير لهذه الظاهرة هو ان صفة الالوهية كانت تضاف الى اسم ذلك الملك الذى قام فعلا بدور الزوج الالهي في احتفالات الزواج المقدس الذى كان عبارة عن محاكاة لزواج الاله الراعي تموز من الهة الخصب عشتار والذى كان يقام سنويا ضمن احتفالات رأس السنة .

بدأ نرام ـ سين حكمه مثل غيره ممن سبقه في اخضاع بعض المدن التي خرجت على الطاعة . اذ يذكر نرام سين ان حركة عصيان ظهرت في البلاد وقد تزعمتها مدينة كيش كما يذكر اسماء اكثر من عشرين متامرا من حكام المقاطعات المختلفة شملت رقعة واسعة من الامبراطورية ابتداءا من بلاد الاناضول في الحدود الشمالية الغربية الى « مكان » في الخليج العربي . ولاشك في ان اعادة اخضاع

Scanned by CamScanner

هذه الاجزاء استلزم حملات عسكرية متعددة كما استلزم وقتا وجهودا كبيره .

لقدسلكت الحملات العسكرية لنرام–سين باتجاه الغرب في طريق الفرات ابتداء بمدينة مارى (تل الحريري الآن) . ومرورا بمدينة ارمانو (ربما حلب) ثم مدينة ابلا (في شمالي سورية) . ويذكر نرام سين انه اسر رئيس اوحاكم ارمانو (وربما كان حاكما على ابلا ايضا) والذى صور اسيراً على منحوتة أهديت الى اله القمر «سين» . كما تذكر كتاباته انه اخضع جبال الارز وعرفها بكونها «جبال امانوس» وهناك من الادلة الكتابية مايشير الى ان نرام – سين ، على غرار جده سرجون ، قد فرض سيطرته على بعض المناطق في جنوب شرقي اسيا الصغرى . وكشفت التنقيبات في ديار بكر على الخابور عن قصر اقامه نرام–سين للسيطرة على الطريق التجارى الممتد الى منطقة الجزيره . كما عثر على مقربة من مدينة ديار بكر على مسلة نحت عليها رسمه . ولاشك في ان نرام–سين استطاع فرض سيطرته ايضا على بلاد اشور حيث لقب نفسه بلقب « حاكم سوبارتو (وهي البلاد التي عرفت ببلاد اشور فيما بعد) .

اما في الجزء الجنوبي من الامبراطورية فيذكر نرام–سين في احدى كتاباته انه زحف على « مكان » (بلاد عمان) والقى القبض على ملكها المسمى مندانسو (Mandanu) .

وقد خاض نرام–سين معارك ضارية ضد القبائل المعروفة بـ« لولو » او (لولوبو » في المنطقة الجبلية الشمالية الشرقية من وادي الرافدين وخلد انتصاراته عليهم في منحوتة على الجانب المنحدر لممر (دربندى كاور) في جبل قره داغ الى الجنوب من السليمانية . ويتكرر موضوع هذه المنحوتة الجبلية على المسلة المعروفة بمسلة النصر للملك نفسه التي عثر عليها في سوسه والتي تصور الملك الاكدى حاملا القوس والرمح ولابسا خوذة ذات قرنين وهو يصعد جبلا شاهق القمة وقد تساقط تحت قدميه عدد من قتلى الاعداء . وتذكر الكتابة التي على المسلة

Scanned by CamScanner

انها تصور انتصار الملك الاكدى نرام–سين على ساتوني ملك لولوبي. والمعروف عن هذه المسلة انها كانت من جملة الغنائم التي اخذها العيلاميون الى بلادهم بعد غزوهم البلاد في نهاية حكم الكاشيين .

ومن المؤكد ان نرام–سين انجز مايمكن تسميته بالادارة المركزية للامبراطورية وهـــذا النوع من الحكم المركزى للبلاد لم يكن موجودا في عهـد دويلات المدن السومرية . فمن الناحية الاقتصادية تذكر بعض النصوص المسمارية ان اصنافا من السلع الثمينة كانت تتدفق على العاصمة اكد من جميع اجزاء الامبراطورية وان حكام الولايات كانوا يبعثون بجزيتهم الشهرية والسنوية . وطبقت فكرة الحكومة المركزية ايضا من خلال تعميم تقويم موحد لكل البلاد في زمن السلالة الاكدية ، في حين كانت دويلات المـــدن السومرية تستعمل تقاويم مختلفة وحدث تجديد اخر في هذا العصر وهو ان المتعاقدين في المكاتبات ونصوص البيع والشراء كانوا يؤدون القسم باسم الملك ويثبتون ذلك في العقد في سبيل اعطائه صفة رسمية ولتحذير المتعاقدين من مغبة الرجوع عن الشروط المنصوص عليها في الاتفاق او العقد . وكدليل على العظمة والوحدة السياسية للبلاد فقد استحدث لقب جديد في عهد هذه السلالة وهو لقب ملك الجهات الاربع . واذا ماعرفنا ان هذا اللقب كان ينعت به بعض العظام من الالهة امثال انو وانليل ادركنا ان ملوك السلالة الاكدية اعتبروا انفسهم ممثلين للالهه في حكم البلاد .

وفي هذا العصر اجريت تعديلات على القيم الصوتية لبعض العلامات المسمارية لتنسجم مع طبيعة اللغة الاكدية كما ان النصوص الرسمية اصبحت تدون باللغة الاكدية بدلا من السومرية .

نهاية السلالة الاكديـــة :

جاءت نهاية السلالة الاكدية في زمن الملك شار كليشارى (٢٢٥٤–٢٢٣٠ ق . م) ابن نرام سين. وقد علمت اسباب عديدة على سقوطها على يد الكوتيين الذين كانوا يستوطنون المرتفعات الشمالية الشرقية لوادى الرافدين . ومن جملـة

Scanned by CamScanner

العوامـل الممهدة للغزو الكوتي أن الامبراطووية استنزفت قسطا كبيرا من قوتها في حروبها ضد القبائل الجبلية المعروفة بـ « لولوبو » ثم ان الثورات الداخلية التي قامت في عدد من المدن اضطرت الملوك الاكديين الى تجريد العديد من الحملات العسكرية لاخمادها. وقد بدأت بوادر الضعف تظهر بعد نرام—سين مباشرة . ففي زمنه مثلا كانت بلاد عيلام خاضعة للحكم الاكدى حتى ان نرام — سين عين عليها حاكما هو بوزر انشوشناك (Buzur Inshushinnak) الذى عرف بولاته للملك الاكدى . لكن هذا الحاكم نفسه سرعان ما اعلن استقلاله عن الامبراطورية الاكدية في زمن خليفة نرام—سين الملك شاركليشارى كما انه ابطل استعمال اللغة الاكدية واستعاض عنها باللغة العيلامية واخيرا فانه لقب نفسه بلقب « ملك الكون » . ومما يدل على ضعف الملك شاركليشارى انه لم يستطع التدخل لاستعادة نفوذه في بلاد عيلام كما انه انهمك في اخماد الثورات الداخلية وفي حربه ضد قبائل لولوبو والكوتيين وضد القبائل البدوية في سوريا وجاءت نهاية الملك شاركليشارى في مؤامرة حيكت ضده في القصر وبذلك سقطت الامبراطورية الاكدية وانتقل الحكم الى الكوتييـــن

الكوتيـون :

لقد انتهز الكوتيون ارتباك الاوضاع في العاصمة اكد فقاموا بهجـوم عنيف على المدن الاكدية فاكتسحوها وكانت العاصمة من ضمها دون ان نعرف لحد الان اية معلومات عن الملابسات والظروف التي احاطت بالجيش الاكدى ولا عن حجم المقاومة التي ابداها ضد القبائل الغازية. ومن الواضح ان الصدمة التي نتجت عن الغزو الكوتي كانت عنيفة وخاصة في مراحلها الاولى والتي تسببت في تدمير العاصمة اكد تدميرا كاملا وفي احتلال المـدن الرئيسـة . وكانـت السنين الثلاث الاولى من الاحتلال الكوتي (٢٢٢٩ — ٢٢٢٧ ق . م) تمثـل فوضى سياسية بكل مافي هذه الكلمة من معنى . ونستطيع القول في ضوء الادلة التاريخية ان الكوتيين لم يستطيعوا بصورة عامه . على الرغم من انتصارهم العسكرى ترسيخ نفوذهم والهيمنة على البلاد . كما يظهر ان حكمهم كان متمركزا في

Scanned by CamScanner

مدن اكد شمالا اكثر مما هو في المدن السومرية الى الجنوب . ويمكن القـــول ايضا ان الكوتيين ، وهم قبائل غير متحضرة لم تالف او تمارس نظاما متطورا للحكم ولم يكن يهمهم تنظيم واحكام سيطرتهم السياسية على البلاد بقدر مـا كان يهمهم نهب خيراتها

ان هذه الحقائق هي التي تفسر ظهور عدد من الملوك الاكديين في الميدان السياسي مجددا ، ولاشك في ان هؤلاء كانوا تحت وصاية الحكم الكوتي . غير انه مما يلفت النظر ان بعضا من هؤلاء الملوك مثل «شودورل»(Soudurul) قد حكم فترة طويلة نسبيا (٢٢٠٥ ــ ٢١٩١ ق. م) وانه تمكن من ان يمد نفوذه الى منطقة اشنونا وفي ظل الحكم الكوتي .

اما في الجنوب فيظهر ان وطأة الحكم الكوتي كانت اخف نسبيا مما سمح بدوره الى ظهور سلالات محلية سومرية مثل السلالة الرابعة في مدينة الوركاء والسلالة الثانية في مدينة لكش . ويتضح من الوثائق السومرية التي تعود إلى زمن امراء سلالة لكش الثانية ، وخاصة تلك التي ترجع الى الامير كوديا (في حدود ٢١٢٥ ق . م) ان الامراء السومريين استطاعوا على الرغم من الوجود الكوتي ان يقوموا بالاعمال العمرانية وان ينجزوا الحملات التجارية وحتى العسكرية الى خارج بلاد سومر .

ولقد استطاع الكوتيون التمسك بالحكم في وادي الرافدين مدة طويلة نسبيا تقرب من قرن من الزمن (٢٢١١ ــ ٢١٢٠ ق . م) تعاقب خلالها على الحكم واحد وعشرون ملكا لانعرف عن معظمهم سوى الاسماء . ومن المعروف عن الكوتين انهم كانوا حضاريا اوطأ بكثير من البلاد التي احتلوها . ولذلك فانهم كانوا دائما تحت تأثيرات مقوماتها الحضارية حتى اننا نجد ان بعض ملوكهم المتأخرين يتسمون باسماء سامية كما انهم تاثروا بالمعتقدات الدينية التي كانت سائدة بين السومريين والبابليين .

Scanned by CamScanner

تعتبر فترة حكم الكوتيين من الوجهه التاريخية اولى الفترات المظلمة في وادى الرافدين . فهي فترة تتميز بندرة واضحة في الكتابات التاريخية وبغموض يكتنف الاوضاع السياسية . واهم من هذا كله فانها فترة توقفت فيها عجله التقدم الحضارى لفترة قرن من الزمن في المجالات الحضارية المعمارية والفنية والفكرية . ومما تجدر ملاحظته عن هذه الفترة انه لم يصلنا من الملوك الكوتيين انفسهم شيء يستحق الذكر ، كما ان المصادر المسمارية المتوفرة في المدن السومرية التي عاصرت حكمهم تغفل ذكرهم بشكل واضح مما يدل على كراهية سكان البلاد لهم وان طمس او اغفال اخبار الغزاة المحتلين من جانب المؤرخين المعاصرين في البلاد المحتلة كان ايضا ظاهرة في وادى النيل بالنسبة للمحتلين الهكسوس .

ولكن وعلى الرغم من الندرة الواضحة في المراجع عن الكوتيين فان هناك اشارات في بعض النصوص المسمارية يمكن من خلالها اعطاء صورة عامة عن الاوضاع في العراق القديم خلال الحكم الكوتي . فيظهر اولا ان الانهيار المفاجيء للامبراطورية الاكدية على يد قبائل غير متحضرة لم تمارس من قبل نظاما متطورا للحكم قد ادى ، وخاصة في مراحل الغزو الاولى ، الى فوضى سياسية وارتباك في السلطة لم تشهد له بلاد سومر واكد مثيلا في تاريخها . ولعل خير مانستشهد به هنا العبارة المأثورة والساخرة لاحد المؤرخين القدامى في وادى الرافدين التي قال فيها عن هذه الفترة بالذات « ترى من كان ملكا ومن لم يكن ملكا ؟ » . ونقرأ في رسالة تعود الى زمن الملك شاركليشارى ، اى الى الفترة التي سبقت سقوط الامبراطورية الاكدية مباشرة ، ان الكوتيين كانوا يهجمون على الحقول وينهبون ماشية الفلاحين ويخربون المزارع من دون ان يستطيع احد ان يقول كلمة لهم على حد تعبير الرسالة . وتشير الدلائل الاثرية ايضا الى ان الكوتيين كانوا يخربون المدن وينهبون ثرواتها وحتى ان بعض المعابد لم تسلم من ايديهم مثل معبد الالهه

Scanned by CamScanner

عشتار في العاصمة اشور . وتنعكس الفوضى التي عمت البلاد من جراء الغزو الكوتي في تأليف سومري ادبي يذكر وحشيتهم وكيف أنهم احتلوا البلاد باعداد كبيرة وكانهم جراد وكيف ان بطشهم لم يسلم منه احد وانهم عطلوا المواصلات على الطرق والملاحه في الانهار واخذوا الاغنام والماشية من حظائرها ووضعوا الرقاء وقطاع الطرق في انحاء البلاد .

Scanned by CamScanner